أضواءٌ في "معاني القرآن" للإمام الفراء - دراسة تحليلية

Introduction to the Book *Ma'ānī al-Qur'ān* by *Imām Farrā* - An Analytical Study

د. محمد أيوب الرشيدى*

د. صديق محمد إبراهيم**

Abstract

The meanings of the Qur'ān are considered a sincere attempt, the author sought to clarify some of the meanings of the Qur'ān, and some linguistic, grammatical, rhetorical. and semantic explanations that aim for the same purpose. Therefore, he is considered one of the sources of grammatical and linguistic studies. Each wade from him, so it will be highlighted In this analytical study on the position of the fur of the Qur'ānic readings and its methodology in dealing with it, acceptance, response, encouragement and differentiation, and then follow some of the issues of vocal, morphological and grammatical Because the fur follows these sciences with great extrapolation. This study will shed light on these sciences with some analysis to show what the fur went to individually and contrary to some of its contemporaries.

Keywords: *Ma'ānī al-Qur'ān; Farrā; linguistic, grammatical, rhetorical analysis.*

تمهيد

لقد عمّد الإمام الفراء في كتابه "معاني القرآن" لبيان بعض التعليقات اللغوية وقد أولى في سبيل ذلك القراءات القرآنية أهمية كبيرة لإمكانية ردها لهذا الجانب بكثير من الأقيسة والمادة اللغوية من خلال اختلاف القراءات وأوجه الإعراب وقد تميز منهجه بسمات كثيرة، منها: ميله لمدرسته الكوفية وإن خالفها في بعض المواضع مستقلاً برأيه أو مؤيداً لمدرسة أخرى، وكذلك من سمات منهجه التحليل اللغوي الماتع في الأخذ بالقراءات القرآنية والاستشهاد بأشعار العرب وبتوثيق الرواية قبل الأخذ بما إلا أنه لم يقف عند القراءات القرآنية المتواترة سالكا بذلك طريق القائلين وهو احتجاجه في العربية بكل ما ورد سواء كان من القراءة المتواترة أو الشاذة، كما أطبق الناس على الاحتجاج في العربية بالقراءات الشاذة.¹ كما اشتمل "معاني القرآن" على كثير من المصطلحات النحوية التي سنفصلها في هذا البحث تفصيلاً يفي بالغرض ويكشف عما في هذا السفر من مسائل لغوية تبين أهميته ومكانته بين كتب اللغة وسنبيّن

* أستاذ مساعد بمركز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

** محاضر بمركز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

ذلك عبر تقسيم هذا البحث إلى قسمين، حيث نتناول في القسم الأول الجانب النظري الذي يوطر للجانب التطبيقي ولقضاياه المختلفة من صوتية وصرفية ونحوية وغير ذلك وسنكتفي بإشارات لهذه الجوانب لأن البحث أضواء حول معاني القرآن بصفة عامة أملا في أن تشكّل هذه الأضواء بيانا لما في هذا السفر النفيس من قضايا لغوية أو تمهيدا لدراسة إحصائية موسّعة لمزيد من الكشف.

وبعد هذا التمهيد نبدأ البحث من منهج الإمام الفراء في القراءات القرآنية فنذكر أولا الإطار النظري له.

الإطار النظري

منهج الإمام الفراء في القراءات القرآنية

القراءات جمع قراءة، ويطلق على علم مخصوص بكيفية أداء آيات القرآن وكلماته مع الاختلاف في اللغة والإعراب ثم انتماء كل وجه إلى ناقله.

ومن أولى السمات المنهجية التي ألفتها عند مطالعة "معاني القرآن" للإمام الفراء هي اعتماده في كتابه الماتع "معاني القرآن" على بيان القرآن بالقرآن، أو الاستشهاد في إثبات معنى من المعاني بالقرآن، من ذلك مثلا عندما أراد بيان أوجه القراءات في قوله تعالى في سورة الفاتحة (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ² قال "أجمع الفراء على الرفع وأما أهل البادية فمنهم من ينصب ومنهم من يخفض ومنهم من يرفع الدال واللام".³

وقد كان منهجه في الإملاء أن يبدأ يتناول الآيات التي يظن أنها يمكن أن تكون بها إشكالية في الفهم أو أنها حمّالة أوجه لغوية فيشرحها وكثيرا ما يبيّن أسباب نزولها وأوجه القراءات فيها ثم ينتقل للسورة التالية. أيضا من سمات منهج الإمام الفراء ميله الواضح لمدرسته الكوفية وذلك في عدة مواقف منها محاولة تفادي التقدير في بعض المواقف الإعرابية كما انتهج منهجها في سورة التوبة، وورد في قوله تعالى "وإن أحد من المشركين استجارك"⁴ غير أنه له تقديرات كثيرة وتأويلات خالف بها المدرسة الكوفية أو قل استقل برأيه فيها. وأيضا من سمات منهجه التحليل اللغوي الماتع في الأخذ بالقراءات القرآنية والاستشهاد بأشعار العرب وبتوثيق الرواية قبل الأخذ بها.

وقبل أن نذكر الإطار التطبيقي للإمام الفراء في هذه الدراسة تناول البحث عن قضية المصطلحات عنده، وتفصيله كالآتي.

قضية المصطلحات عند الإمام الفراء

ويُعَدُّ المصطلح بصفة عامة أحد الأسس التي يُبنى عليها كل علم، أما بالنسبة لماهيته فالمصطلح هو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، أو هو مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها⁵، فبناء على ذلك فقد اتسم هذا السفر الذي بين أيدينا بعدد لا بأس به من المصطلحات المتنوعة، سنحاول ذكر بعضها؛ لأن إجمالها يحتاج لبحث موسّع بحيث يتم تتبع تلك المصطلحات في أجزاء كتابه واستخراجها والتعليق عليها ودراسة المصطلحات المقابلة لها وتوضيح الفروق بينها؛ لذا سنكتفي هنا بذكر بعض النماذج، ومنها:

- **التبیان:** ويعني به فك الإدغام، قال الفراء أن ابن مسعود كان يدغم في "والصفات صفا" وكذلك في آية "التاليات" "والزجرات" يعني يدغم التاء منهن، والتبيان أجود.⁶
- **الرد:** ويعني به العطف، كما في قاله تعالى الذي أورده الفراء في كتابه: "وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عبادة مكرمون"⁷ ومعناه هم عباد مكرمون.⁸
- **الصرف:** معنى الصرف هنا العدول كما ذكر في قوله تعالى: "وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"⁹ "ومثنى وثلاث ورباع هنا حروف لا تجري؛ وذلك أنهن مصروفات عن جهاتهن."¹⁰
- **ضمير العماد:** ويعني به ضمير الفصل، كما ورد في آية سورة الإخلاص: "قل هو الله أحد"¹¹ وههنا في الآية كلمة "هو" عماد يعني ضمير الفصل،¹² وقد أطلق الكوفيون مصطلح (العماد)، لأن ما بعدها قد يُعْتَمَدُ عليه في بعض المواضع، وعند ابن هشام: لاعتماد معنى الكلام سمي عمادا.¹³ وعند البصريين مصطلح الفصل مقابل العماد،¹⁴ ولا عجب في اختلاف المصطلحات فهذه مدرسة وتلك مدرسة أخرى.
- **الصلة:** مصطلح الصلة أطلقه الفراء على الأحرف الزائدة في القرآن الكريم تأديبا وتورعا من أن يكون في القرآن الكريم زائد، فعندما أعرب قوله تعالى: "فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ"¹⁵ قال: وما هنا صلة والدليل تحطبي تأثير حرف الجر إلى الاسم الواقع بعدها وهو (رحمة) بالجر.
- **اللغو:** مصطلح اللغو من المصطلحات التي استخدمها الفراء في غير القرآن للحرف الزائدة، ولا يطلق عليها زائدة في القرآن كما مشى عليه في كتابه، وأطلق عليها زائدة في الشعر كما أورد مثاله من أحد الشعراء:
- ما إن رأينا مثلهن لمعشر سود الرؤوس فوالج وفيول
- فههنا اجتماع حرفين وهو " ما وإن" فيجعل أحدهما لغوا.¹⁶
- **القطع:** ويعني به الحال فقال في قوله تعالى: " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين".¹⁷
- فنصب هدى هنا على القطع، وهو نكرة متصلة بمعرفة قد تم خبرها.¹⁸
- وجمع الإمام الفراء كذلك مصطلحي الحال والقطع كما جاء في إعراب قوله تعالى: " وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"،¹⁹ وصرح أن نصب "مطويات" على الحال أو على القطع فجمع بين الاصطلاحين بهذا الشأن.
- **الإعراب:** عُرِّفَ الإعراب في اللغة بأن معناه الإفصاح والإظهار والإبانة، أما عند النحويين فهو تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً، وعند الفراء يعني بالإضافة لهذه المعاني فهو العلامة التي توضع على الحرف للدلالة على رفعه أو نصبه أو جره، مثل: قوله تعالى: (يَكَادُ الْبَرَقُ يَخْطَفُ

أَبْصَارُهُمْ²⁰، ذكر الفراء لكلمة (يَحْطَفُ) خمس قراءات وهي (يَحْطَفُ يَحْطَفُ يَحْطَفُ يَحْطَفُ يَحْطَفُ).²¹

– **الصفة والنعت**: استخدم الفراء المصطلحين "الصفة والنعت" مع أن الأكثر في كتابه استخدامه مصطلح النعت، واستعمل الصفة في قوله تعالى: " وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون"²² فقال الفراء: المبارك مرفوع لأنه صفة "ذكر".

وبعد ذكر المصطلحات سنذكر الإطار التطبيقي، وهو انضوت في البحث المذكور على عدة القضايا ومنها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والبلاغية ونبدأ هذا الإطار من القضايا الصوتية.

الإطار التطبيقي

(أ) القضايا الصوتية:

الأصوات هي الصورة الحية والوجه التطبيقي للغة، وقد عبر ابن جني في تعريفه المشهور عن اللغة بأنها: أصواتٌ يُعَبَّرُ بها كل قومٍ عن أغراضهم، والقضايا الصوتية لأهميتها عند الفراء قد شغلت حيزاً في كتابه (معاني القرآن)، ومنها:

1- إدغام حرفين من جنس واحد: أي الحرف المكرر في الكلمة كما في قوله تعالى: (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)²³ قال الفراء: وهناك إدغام في كلمة "حي" أي إدغام الياء مع الياء، وهذا الإدغام لا يناسب عنده؛ لأن الياء الآخرة لزمها النصب في فعل.²⁴

2- المدّة: وهي من ضمن ما ذكره الخليل في العين،²⁵ واستخدمها الفراء في معنى تطويل الألف أي عكس القصر، ففي قوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ).²⁶ يقول الفراء " يجوز فيه أن تجعل بين الألفين ألفاً غير مهموزة... فأفعل بكل همزتين تحركتا فزد بينهما مدّة، وهي من لغة بني تميم."²⁷

3- التشديد والتخفيف: قال تعالى (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)،²⁸ جاء عن الفراء في تفسير هذه الآية قوله: وقرأ أكثر الأئمة كلمة "كذب" في الآية المذكورة مشدداً، وقرأ البعض مخففاً، وكلاهما يجوز عنده.²⁹

4- الإبدال: قال تعالى: (وَقَوْمَهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِيهَا)³⁰، وهذا النوع من الإبدال يدخل ضمن قانون التعاقب وهو ورود كلمتين بمعنى واحد تختلف إحداها عن الأخرى في صوت واحد ويكون الصوت في الكلمة الأولى من مخرج الصوت في الكلمة الثانية، قال الفراء " وفومها قراءة عبدالله و(ثومها) بالثاء، والعرب يبدلون الفاء بالثاء هنا وهو شائع عندهم."³¹

5- الإخفاء: قال تعالى: (وَيَجِيئُهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ)³² جاء عن الفراء قوله: عند الفراء بنونين، وكتابتها بنونٍ واحدةٍ، وعند عاصم هذه الكلمة تُقرأ "بُجِّي" بنونٍ واحدةٍ.³³

كما اهتم الفراء بالفصل والوصل والانتطاع والوقف والسكت، كما لم يخلو بحثه في الأصوات عن الصحة والإعلال وما تشتمل عليه من همز ومضاعفة وغير ذلك.

6- الغلبة: أي غلبة صوت على صوت آخر، قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)³⁴، قال الفراء: "مُدَّتْكَر" أي مفتعل، ورؤي عن بعض بني أسد "مُدَّكِر".³⁵

7- الاتباع: وهو أن يتبع الحرف الحرف الذي قبله في الحركة، قال تعالى: "ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله"³⁶ جاء عن الفراء قوله: " بنعمات الله" والعرب لا يفعلون ذلك بكلمة "فَعَلَةٌ" وإنما منقول عنهم ذلك في كلمة "فُعَلَةٌ" كما يقرأون " ظُلْمَةٌ ظُلُمَات " فرجع الثانية إتباعاً.³⁷

(ب) القضايا الصرفية:

شغلت القضايا الصرفية في (معاني القرآن) للفراء حيزاً كبيراً كبقية القضايا اللغوية، وترجع هذه الأهمية لمكانة علم الصرف في فهم معاني بعض الكلمات التي تتعلق بالمعاني الدلالية خاصة وفيما يلي بعضاً من تلك القضايا: تركيب (لما) قال تعالى: "وإن كُلاًّ لَمَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَاهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"³⁸ قال الفراء: قرأت القراء بتشديد (لَمَّا) وتخفيفها وتشديد إنَّ وتخفيفها، فمن قال (وإنَّ كُولاَ لَمَّا) جعل (ما) اسماً للناس كما قال (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) ثم جعل اللام التي فيها جواباً لإنَّ، وجعل اللام التي في (لِيُؤْفِقِيَهُمْ) لا ما دخلت على نية يمين فيها: فيما بين ما وصلتها؛ كما تقول هذا من ليذهبنَّ، وعندني ما لَعَبْرُهُ خَيْرٌ منه"³⁹، وأما الذين حَقَّقُوا (إنَّ) فَأَنَّهُمْ نَصَبُوا كلاًّ بِ (لِيُؤْفِقِيَهُمْ)، وقالوا: كأننا قلنا: وإنَّ لِيُؤْفِقِيَهُمْ كُلاًّ. وهو وجه لا أشتهيهِ لأن اللام إنما يقع الفعل الذي بعدها على شيء قبله فلو رفعت كل لصلح ذلك كما يصلح أن تقول: إنَّ زيدا لقائم ولا يصلح أن تقول: إنَّ زيدا لأضربُ لأن تأويلها كقولك: ما زيدا إلا أضرب فهذا خطأ في إلا وفي اللام".⁴⁰

وأما من شدد (لما) فإنه - والله اعلم - أراد: لِمَنْ ما لِيُؤْفِقِيَهُمْ، فلما اجتمعت ثلاث ميمات حذف واحدة فبقيت اثنتان فأدغمت في صاحبتهما؛ كما قال الشاعر:

وإني لَمَمَّا أصدر الأمر وجهه * إذا هو أعيأ بالسبيل مصادره

(لما) عبارة عن (لِمَنْ ما) انقلبت النون فيها ميمًا، فلما اجتمعت ثلاث ميمات حذفت واحدة منها، وأدغمت إحداها في الثانية.

- فعيل بمعنى مفعول قال تعالى: " مَا هَذَا بَشَرًا " ⁴¹ قال الفراء " نصبت (بشرا) لأن الباء قد استعملت فيه فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء فلما حذفوها أحبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه فنصبوا على ذلك؛ ألا ترى أن كل ما في القرآن أتى بالباء إلا هذا"⁴² ثم ذكر أن وزن فعيل يأتي بمعنى اسم المفعول وذلك من خلال قراءة ما روي عن أبي الحويرث الحنفي

– في آية "ما هذا بشري" والتقدير ما هذا بمشترى. ⁴³ وقد عُدت هذه القراءة من القراءات الشاذة ولكن مع ذلك ذكرها الفراء في (معاني القرآن) وقد تم تفصيل ذلك في الحديث عن منهج الفراء في تعامله مع القراءات ومراتبها.

– كلمة أشياء قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ " ⁴⁴ تعليل منع أشياء من الصرف عند الفراء هو أنّها جمع لشيء والأصل فيها شيء فتم تخفيفها فأصبحت شيء ثم تم جمع شيئاً بعد التخفيف والأصل أشياء على وزن أفعلاء فاجتمعت همزتان هما لام الكلمة التي هي للتأنيث والألف فتم التخفيف بقلب الهمزة الأولى ياء لانكسار ما قبلها فيجتمع ياءان أولاً مكسورة فحذفوا الياء التي هي عين الكلمة تخفيفاً فصارت أشياء ووزنها بعد الحذف أفعاء فمنع الصرف فيها لأجل ألف التأنيث. ⁴⁵

(ج) القضايا النحوية:

يُعدُّ القرآن الكريم وقراءاته المصدر الأول في مصادر الدراسات النحوية في الاستشهاد والاحتجاج لكونه المصدر الأوثق والأفصح ولذلك اتخذهُ الفراء " نموذجاً للعربية ليقوم عليه تحليله اللغوي " ⁴⁶ من أجل مجموعة من الأغراض، منها على سبيل المثال بيان أوجه اللغة العربية في الأساليب التعبيرية، على سبيل المثال في قوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ) ⁴⁷ يقول الفراء: " العرب تجعل اللام في موضع (إن) في الأمر والإرادة كثيراً؛ من ذلك قوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) ⁴⁸ و (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ) ⁴⁹ وقال في الأمر في موضع التنزيل (وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ⁵⁰ وهي في قراءة عبد الله (وما أمروا إلا أن يعبدوا الله مخلصين) " ⁵¹، كما استخدم الفراء التحليل اللغوي لاستنباط بعض الأصول النحوية بالإضافة لغرضه الأساسي وهو بيان الغريب.

ويأتي الحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم لأن النبي – عليه الصلاة والسلام – أفصح العرب قاطبة، ولكن للعلل سالفه الذكر قلّ الاستشهاد أو الاحتجاج بالحديث النبوي وإن فاق غيره قليلاً في الاستشهاد بالحديث فإنه يورده مورد المثال وليس الشاهد.

لقد تعددت المسائل النحوية عند الفراء، لكن سنختار بعضاً منها:

1- العطف على الضمير المحرور دون إعادة الجار: قال تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ". ⁵²

يرى الفراء أن وجه نصب الأرحام هو "واتقوا الأرحام أن تقطعوها" أما الخفض، يريدون (بالله والرحم) فهو قبيح، لأنه عطف على ضميرٍ محرورٍ دون إعادة الجار، والعرب لا تعطف مخفوضاً على مخفوضٍ وقد كُني عنه، وإنما يجوز ذلك في الشعر فقط لضيقه ⁵³، والجدير بالذكر هو أن قراءة الخفض هي إحدى القراءات السبع؛ ما يعني أن قراءة الخفض لها وجهٌ في لغة العرب وإن رأى الفراء أن ذلك مقصور على الشعر، إضافةً إلى أن إمام النحويين قد أجاز ذلك في (الكتاب) ⁵⁴؛ لذا يبقى هذا أحد آراء الفراء في بعض المسائل النحوية.

2- نيابة غير المفعول به عن الفاعل: قال تعالى: "لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ".⁵⁵

يرى الفراء عدم جواز نيابة غير المفعول به عن الفاعل في حالة وجود المفعول به، ففي الآية أعلاه كلمة (لِيَجْزِيَ) قُرأت بضم الياء في بعض القراءات وهو عند الفراء لحن طبعاً لتعبيره، إلا إذا أضمر في (يجزي) فعلا يقع به الرفع كما تقول: أعطى ثوباً ليجزي ذلك الثوب الجزاء قوماً، فهو وجه.⁵⁶

3- دخول الفاء على خبر إن: قال تعالى: "قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ"⁵⁷

يقول الفراء: "أدخلت العرب الفاء في خبر إن لأنها وقعت على (الذي)، و (الذي) حرف يُوصل، فالعرب تدخل الفاء في كل خبر كان اسمه مما يُوصل، مثل: من، والذي. وإلغاؤها صواب، وهي في قراءة عبد الله (إن الموت الذي تفرون منه ملاقيكم) ومن أدخل الفاء ذهب بالذي إلى تأويل الجزاء إذا احتاجت إلى أن توصل، ومن ألغى الفاء فهو على القياس، لأنك تقول إن أخاك قائم، ولا تقول إن أخاك فقائم، ولو قلت: إن ضاربك فظالم كان جائزاً لأن تأويل إن ضاربك كقولك: إن من يضربك فظالم، فقس على هذا الاسم المفرد الذي فيه تأويل الجزاء فادخل له الفاء".⁵⁸

3- الفصل بين المضاف والمضاف إليه، قال تعالى: "وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ".⁵⁹

اتفق الفراء مع سيبويه في عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن رأى سيبويه جواز الفصل بينهما بالظرف والجار والمجرور في بعض ضرورات الشعر حصراً⁶⁰ قال الفراء: "الشركاء رفع لأنهم الذين زينوا... وإن شئت جعلت "زين" إذا فتحته فعلا لا بليس ثم تخفض الشركاء باتباع الأولاد."⁶¹

4- مجيء أو بمعنى الواو: قال تعالى "وَإِنَّا أَوْ إِبَائِكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ".⁶²

عند كثيرٍ من المفسرين تأتي أو بمعنى الواو، لكن الفراء لا يبيح ذلك ويرى أنها تكون بمنزلة الواو في الأمر المفوض، وعلى سبيل المثال كما تقول لأحد إن تريد فخذ درهما أو اثنين.⁶³ وقد أجاز سيبويه ذلك بشروط وهي أن تقع بعد نفي أو نهي أو بعد إعادة العامل.⁶⁴

تجدد الإشارة إلى أن هذه بعض القضايا النحوية التي أدلى فيها الفراء برأيه وهي غيضٌ من فيض؛ لأن المسائل التي اختلف فيها الكوفيون مع البصريين عددها الإمام ابن الأنباري في كتابه الماتع "الإنصاف في مسائل الخلاف" ولكن ما كان فيها رأي خاص بالفراء تفوق ذلك العدد.

د/القضايا البلاغية والدلالية:

الحديث عن القضايا البلاغية في معاني القرآن للفراء فالمراد منه الحديث عن النظم القرآني و الأساليب القرآنية والفراء عنون كتابه ب (معاني القرآن) والإعراب (فرع المعنى) والصرف يدخل في تشكيل المعنى لأنه يعالج المفردات، فما موقع القضايا البلاغية من ذلك؟

اللغة منظومة متكاملة؛ تبدأ بضرورة صحة المفردة وهذا مجال علم الصرف ثم ضرورة صحة التركيب

وہذا مجال علم النحو، ثم ضرورة أن يدل هذا التركيب على معنى؛ لأن الجملة عند النحويين إن لم تدل على معنى لا تسمى جملة، ثم تأتي الصور البلاغية بفروعها الثلاثة لتضفي على الكلام بيانا لا يتأتى بدونها وجمالا من خلال المحسنات البديعية لا يوجد إلا بها، ومن هنا صح الوصف بأنها منظومة متكاملة.

هذه المنظومة تناولها المتقدمون بشيء من الشمول؛ لذا سنشير هنا لبعض تلك القضايا إشارة تؤكد تضمن معاني القرآن) لهذه العلوم كما أشرنا في الصفحات أعلاه للقضايا اللغوية الأخرى لأن الدراسة لم تكن بلاغية ولا دلالية وإنما هي عن معاني القرآن وما فيه ولذلك ستكون مجرد إشارات.

– **الكناية والمثل:** قال تعالى: " فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ " ⁶⁵.

الصبُّ: معناه هو إفراغ ما في الظرف، لكن استعير هنا لحلول العذاب دفعةً كما يصب المطر على الأرض فوجه الشبه هنا من السرعة والكثرة. ⁶⁶ والسوط هو آلة ضرب للخيل، فتضرب بها لتأديب، والسوط عند الإمام الفراء هو كلمة تستعملها العرب لكل نوع من العذاب. ⁶⁷ وإضافة سوط إلى عذاب من قسم إضافة الصفة إلى الموصوف، ولذلك يُعد هذا تشبيه بليغ. ⁶⁸

– **التشبيه والمثل:** قال الله تعالى: " فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدهان " ⁶⁹.

التشبيه والمثل ألفاظ تشير إلى دلالات بلاغية ولكنها في بداية تشكل العلوم العربية استخدمت في السياق اللغوي العام، ففي الآية أعلاه يقول الإمام الفراء: هنا تشبيه السماء بالوردة لاختلاف ألوانها بالدهن، والدهن هو الأدم الأحمر فهناك تشبيهين ⁷⁰، وتُعد هذه إشارات متقدمة في محاولة فهم هذا النوع من الأساليب البلاغية.

– **الاستعارة:** في قوله تعالى: " يوم يكشف عن ساقٍ ويُدعون إلى السجود فلا يستطيعون " ⁷¹ كانت الاستعارة يشار إليها بكلمة تمثيل أو بدل، وقد تعرض الفراء لهذا النوع من التمثيل كثيرا دون أن يطلق عليه اسما، فعلى سبيل المثال عندما أراد بيان قوله تعالى في الآية أعلاه قال: " الفراء مجموعون على ضمّ الياء،... وفي قراءة ابن عباس بالفتح "يكشف" ⁷².

– **التكرار:** قال الله تعالى في سورة التكاثر: " كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون " ⁷³. يقول الفراء: كلمة "كلا" قد تكررها العرب للتغليظ والتخويف. ⁷⁴ وهذه إشارة إلى التكرار وغرضه في هذا السياق.

الخاتمة

كانت هذه محاولة لتسليط الأضواء على بعض القضايا النحوية والصرفية والصوتية والبلاغية وقبل ذلك كله قضية المصطلحات ومنهج الفراء في تعامله مع القراءات، ولا ندعي بأننا قمنا بإحصاء ما في (معاني القرآن) من قضايا لغوية متنوعة وإنما هي إشارة أو أضواء على هذا السفر النفيس آملا أن تشكل هذه الإضاءات مشروعا لدراسة إحصائية موسّعة لمزيد من الكشف، وخلاصة ما خرجت به هذه الدراسة، النتائج الآتية:

- اهتم الفراء بالقياس ولكن أكثر ارتكازه في تسياره كان على السماع.

- مثل التعليل أحد الوسائط الرئيسية في التحليل اللغوي عند الفراء.
- اهتم الفراء كثيرا بالقراءات المتواترة، والشاذة معاً، على الرغم من رفضه لبعض القراءات الشاذة في تناقض غير مفهوم.
- في سبيل بيان المعنى الغريب استند الفراء على السياق وكان يلجأ للقراءات القرآنية ثم مصادر الاستشهاد الأخرى.
- تميّز هذا السفر بعدد كبير من المصطلحات بعضها كوفي على مذهبه وبعضها خاص به؛ وذلك يدل على علو كعبه في هذه الفنون.
- اشتمل معاني القرآن على بعض القضايا النحوية والصرفية بكثرة، أما القضايا البلاغية كان أكثر ما فيها إشارات لكن تعد تلك الإشارات تحسب للفراء قياساً بعامل الزمن الذي دون فيه "معاني القرآن".

المصادر والهوامش

- 1 الاقتراح في علم أصول النحو لجلال الدين السيوطي ص 48 ط1 تحقيق أحمد محمد قاسم مطبعة السعادة- القاهرة 1976م.
- 2 سورة الفاتحة، الآية: 1
- 3 معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ج 1 ص 3، ت 207هـ، ط 3 علم الكتب بيروت 1983م.
- 4 سورة التوبة الآية 9
- 5 الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي ص 11-12 دار غريب للطباعة والنشر القاهرة 1993م
- 6 معاني القرآن للفراء ج 2 ص 382
- 7 سورة الأنبياء الآية 26
- 8 نفس المصدر ج 2 ص 201
- 9 سورة النساء الآية 3
- 10 معاني القرآن للفراء ج 1 ص 254
- 11 سورة الإخلاص، الآية 1
- 12 نفس المصدر ج 3 ص 299
- 13 مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري، ص 644 تحقيق دكتور عبداللطيف محمد الخطيب ط1 الكويت 2000م
- 14 الكتاب لأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه، ج 2 ص 389؛ 180هـ، تحقيق عبد السلام هارون ط3، دار الخليل، بيروت 1988م
- 15 سورة الأنعام، الآية 145
- 16 معاني القرآن للفراء، ج 1 ص 57 و 58
- 17 سورة البقرة الآية 20
- 18 معاني القرآن للفراء، ج 1 ص 167
- 19 سورة الزمر الآية 67
- 20 سورة البقرة الآية 20

- 21 معاني القرآن للفراء ج 1 ص 411
 سورة الأنبياء الآية 22⁵⁰
 23 سورة الأنفال الآية 42
 24 كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت 170هـ، ج 1 ص 321 تحقيق د. عبد الحميد هندواوي، منشورات دار الكتب العلمية بيروت 2003م
 25 معاني القرآن للفراء، ج 2 ص 216
 26 سورة المللك الآية 16
 27 معاني القرآن للفراء ج 3 ص 171 و ج 3 ص 149 و ج 1 ص 208
 28 سورة النجم الآية 10-11
 29 معاني القرآن للفراء ج 3 ص 96
 30 سورة البقرة الآية 61
 31 معاني القرآن للفراء ج 1 ص 41
 32 سورة الأنبياء الآية 88
 33 معاني القرآن للفراء ج 2 ص 210
 34 سورة القمر الآية 17
 35 معاني القرآن للفراء ج 2 ص 309
 36 سورة لقمان الآية 31
 37 كتاب العين للخليل بن أحمد ج 8 ص 269
 38 سورة هود، الآية 111
 39 معاني القرآن للفراء، ج 2، ص 30
 40 نفس المصدر ج 2 ص 42
 41 سورة يوسف، الآية 31
 42 معاني القرآن للفراء ج 1 ص 321
 43 نفس المصدر ج 2 ص 82
 44 سورة البينة الآية 5
 45 دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي ص 93، دار المعرفة الامعية الاسكندرية 1988م
 46 معاني القرآن للفراء ج 2 ص 42
 47 سورة البينة الآية، 5
 48 سورة النساء الآية 26
 49 سورة الصف، الآية 8
 50 سورة الأنعام الآية 72
 51 سورة البينة، الآية 98

- 52 سورة النساء الآیة 1
- 53 انظر الكتاب لسيبويه ج 1 ص 173
- 54 انظر معاني القرآن للفراء ج 3 ص 46
- 55 سورة الجمعة الآیة 8
- 56 معاني القرآن للفراء ج 3 ص 155-156
- 57 سورة الجمعة الآیة 62
- 58 انظر الكتاب لسيبويه ج 1 ص 176
- 59 سورة الإسراء الآیة 72
- 60 معاني القرآن للفراء ج 1 ص 357-358
- 61 معاني القرآن للفراء ج 2 ص 127-128
- 62 سورة سبأ الآیة 24
- 63 انظر الكتاب ج 3 ص 184-185.
- 64 حروف المعاني لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ت 340، ص 52-53 تحقيق د. علي توفيق الحمد، ط 2 مؤسسة الرسالة - الأردن 1986م
- 65 سورة الفجر الآیة 13
- 66 التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج 30 ص 322، الدار التونسية للنشر - تونس 1984م
- 67 معاني القرآن للفراء ج 3 ص 261
- 68 انظر التحرير والتنوير ج 30 ص 322
- 69 سورة الرحمن الآیة 37
- 70 معاني القرآن للفراء ج 3 ص 117
- 71 سورة القلم الآیة 42
- 72 معاني القرآن للفراء ج 3 ص 177
- 73 سورة التكاثر الآيات 3، 4
- 74 معاني القرآن للفراء ج 3 ص 287